الطرح السينمائي الفرنسي لانعكاسات الإسلاموفوبيا على المسلمين في فرنسا

دراسة تحليلية سيميولوجية لفيلم SOUMAYA

The French cinematic presentation of the repercussions of Islamophobia on Muslims in France. A semiological analytical study of SOUMAYA Film

د/ إيمان فوال*

[1] جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل، الجزائر، imanfoual@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/08/03	تاريخ القبول: 2022/12/24	تاريخ النشر: 2022/12/30

ملخص:

تنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات الكيفية، هدفها العام هو التعرف على الطريقة التي من خلالها تم تناول ظاهرة الإسلاموفوبيا في السينما الفرنسية من خلال فيلم سمية (Soumaya). وقد اعتمدت هذه الورقة البحثية المنهج السيميولوجي من خلال توظيف مقاربة رولان بارت. وتكمن أهميتها في كون الفيلم يسلط الضوء على معاناة المسلمين في فرنسا بعد الإعلان عن حالة الطوارئ في نوفمبر 2015، حيث يعتبر أول فيلم سينمائي فرنسي يتناول الإسلاموفوبيا من هذه الزاوية. ومن بين نتائج الدراسة نذكر أنّ الفيلم يركز بشكل كبير على الإسلاموفوبيا المؤسساتية، والتي تجلّت في مداهمات بيوت المسلمين وفصلهم عن مناصب عملهم واتهامهم بالتطرف والإرهاب... كما يشجع الفيلم المسلمون على الدفاع عن أنفسهم بالتوجه إلى الجهاز القضائي، وعدم السماح لمؤسسات الدولة بإقصائهم اجتماعيا...

كلمات مفتاحية: الإسلاموفوبيا، السينما الفرنسية، فيلم سمية، السيميولوجيا.

Abstract:

This header belongs to qualitative studies; its general goal is to identify the way in which the phenomenon of Islamophobia was addressed in French cinema through Soumaya. This study adopted the semiological approach by employing the Roland-Bart approach. The importance of this study lies in the fact that the film deals with the issue of Islamophobia by shedding light on the suffering of Muslims in France after the declaration of the state of emergency in November 2015. It is considered the first French movie that deals with Islamophobia from this angle. Our study reached a set of results, the most important of which is that the film focuses heavily on institutional Islamophobia, which was evident in the house raids. Muslims are dismissed from their work positions and accused of extremism and terrorism ... The film encourages Muslims to defend themselves by going to the judiciary, and not allowing state institutions to exclude them socially.

Keywords: Islamophobia, French cinema, Soumaya movie, semiology.

* د/ إيمان فوال imanfoual@gmail.com

مقدمـة وطرح الإشكالية

شهدت الدول الأوروبية على رأسها فرنسا وقائع ومستجدّات أسهمت في تعميق ظاهرة الإسلاموفوبيا مثل هجمات شارلي إيبدو سنة 2015، وبعدها هجمات باريس في نوفمبر من السنة نفسها التي أعلن إثرها عن حالة الطوارئ في فرنسا... ويتجلى هذا الخوف في كل شيء مرتبط بهذا الدّين (المسلمون، المساجد، المراكز الإسلامية، المآذن، القرآن الكريم، الحجاب وغيرها). ووفقا لبيانات التقرير السنوي لـ Collectif Contre l'Islamophobie en France عام 2018 نسبة الممارسات الاسلاموفوبية ازدادت بنسبة 52 بالمائة مقارنة بسنة 2017، حيث سجّل المركز 446 ممارسة سلوكية اسلاموفوبية سنة 2017، بينما ارتفع عددها إلى 676 سنة 2018 وذكر أنّ نسبة 70 بالمائة من هذه الضحايا هم نساء.(CCIF، 2018)

وقد لعبت وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية على رأسها السينما، دورًا فعّالا في التعريف بهذه الظاهرة والمساهمة في الترويج لها، إذ لم تكتفي بتصوير فيلم يُعرض على الشاشة بهدف الترفيه أو الربح التجاري فقط، كون عدسة الكاميرا السينمائية لا تعمل بمعزل عن الظواهر الاجتماعية بل تقتبس سيناريوهاتها من الواقع الاجتماعي، السياسي، الثقافي والاقتصادي للمجتمعات، ثم تعيد تقديمه مرة أخرى أو تعدّله وفق ما يخدم أجندة أصحاب الهيمنة والنفوذ ويذهب أديب خضور، إلى القول أنّه: "لا يوجد أيّة مادة إعلامية محايدة، بل تسعى كل مادة إعلامية إلى تكوين الصورة التي تحاول الوسيلة الإعلامية رسمها وتكوينها عن الحدث أو الظاهرة أو الشخصية أو حتى النظام ككل." (خضور، 1999، ص 22)؛ إلّا أنّ هناك محاولات في الإخراج السينمائي الفرنسي عملت على تسليط الضوء عن المسكوت عنه فيما يخص ظاهرة الإسلاموفوبيا وانعكاساتها على المسلمين في فرنسا ومعاناتهم بسبب اتهامهم بالإرهاب والتطرف لأنّهم متمسكون بتعاليم دينهم وذلك بالكشف عن الاتجاه المعاكس للموضوع والطرح المكمل له بهدف تجاوز الرؤية الخطية للإسلام والمسلمين وتسليط الضوء عن المسكوت عنه من خلال السينما. فالصورة السينمائية علامة سيميائية بامتياز وأيقون بصري ينقل أحداث واقعية أو خيالية فقد تكون وثيقة تقريرية واقعية أو متخيلا فنيا وجماليا، تنقل لنا العالم المرصود تعيينا أو تضمينا وهذا ما يستعدي تفكيك المعاني التي تضمنتها ثم إعادة تركيبها من جديد في ضوء سياقاتها الداخلية من جهة، ومعطياتها الإحالية والمرجعية من جهة أخرى. (حمداوي، 2017، صفحة 157). وعليه ارتأيتنا تحليل الفيلم السينمائي الفرنسي **Soumaya**، وضمن هذا السياق، تتضح معالم إشكالية دراستنا التي ستتمحور في التساؤل الرئيس الآتي:

كيف طرحت السينما الفرنسية انعكاسات الإسلاموفوبيا على المسلمين في فرنسا في الفيلم السينمائي الفرنسي Soumaya؟

ومن هذا التساؤل الجوهري، تتفرع التساؤلات الفرعية الآتية:

- فيما تمثلت المعاني الضمنية والدلالية التي نقلتها السينما الفرنسية للمشاهد عن الإسلاموفوبيا من خلال الفيلم عينة الدراسة؟
- كيف عبّرت الرسائل الأيقونية والرسائل الألسنية في الفيلم السينمائي "سمية" عن الإسلاموفوبيا؟
- كيف عايش المسلمون ظاهرة الإسلاموفوبيا في فرنسا من خلال الفيلم السينمائي "سمية"؟
- كيف روج الفيلم عينة الدراسة لصورة المسلمين في فرنسا؟

أولا: الإجراءات المنهجية للدراسة

1. تحديد مفاهيم الدراسة:

❖ **الإسلاموفوبيا:**

- **اصطلاحا:** تُعرِّف **منظمة التعاون الإسلامي للتصدي لظاهرة الإسلاموفوبيا**، الإسلاموفوبيا أنّها: "شكل من أشكال العنصرية وكره الأجانب بدافع الخوف الذّي لا أساس له، وعدم الثّقة والكراهية للإسلام والمسلمين. وتتجلى الإسلاموفوبيا من خلال التّعصب والتّمييز والعداء والخطاب العام المعادي، وتختلف الإسلاموفوبيا من العنصرية الكلاسيكية وكره الأجانب حيث أنّها تستند أساساً على وصم الدّين وأتباعه على هذا النّحو الإسلاموفوبيا هي إهانة لحقوق الإنسان وكرامة المسلمين". (الإسلاموفوبيا، 2016، صفحة 01)
- **إجرائيا:** هي أفعال وسلوكيات إجرامية يعاقب عليها القانون مثل التمييز العنصري، العنف الجسدي واللفظي، وخطاب الكراهية أو حتى إهانة وتدنيس أماكن العبادة وغيرها، التي تُرتكب ضد المؤسسات أو الأفراد بسبب انتمائهم الحقيقي أو المفترض إلى الإسلام، و/أو بسبب ألقابهم أو مظهرهم أو حتى أسلوب حياتهم فيُعتَبَرون مسلمون عن صواب أو خطأ في فرنسا، كما سيظهر في الفيلم السينمائي الفرنسي "سمية".

❖ **الفيلم السينمائي:**

- **اصطلاحا:** يرى ليون موسيناك Lion Mosinak أنّ الفيلم هو "ذلك الارتباط بين عنصر التنظيم التي تحوي داخله كل الأشخاص والموضوعات في إيقاع خاص مرتبط بالفيلم وطريقة تقديمه ووضع كافة الأحداث في تتابع زمكاني ونسق سمعي بصري دال والذي يولد عبر الزمان والمكان بإطار عام يلملم ويكثف ويبرز الأحاسيس والأفكار المراد التعبير عنها". (السيد، 2008، صفحة 66)

- **إجرائيا:** هو تقنية التصوير وعروض الصور المتحركة عن قصة بالصوت أو بدونه وكذا الخذع البصرية والمؤثرات الصوتية وكذا الإضاءة، الديكور، الألوان والشخصيات وفق تتابع زماني ومكاني للأحداث في إطار عام يجمع ويكثف ويبرز الأحاسيس والأفكار المراد التعبير عنها وغيرها في الفيلم السينمائي الفرنسي "**سمية**" والذي يصنّف ضمن الأفلام السينمائية الدرامية.

2. أهمية الدراسة:

تبرز أهمية الدراسة من أهمية الموضوع نفسه، حيث تعتبر الإسلاموفوبيا من قضايا الساعة التي يعاني منها المسلمون في الغرب. كما تظهر أهمية دراستنا في قلة الأدبيات التي تناولت موضوع الإسلاموفوبيا بمفهومه الواسع في السينما، حيث تركز معظم البحوث في علوم الإعلام والاتصال على تحليل الأفلام السينمائية التي تناولت جزئيات من أحداث ووقائع مهمة وتجاهلت جزئيات أخرى، وباعتبار الفيلم السينمائي الفرنسي سمية SOUMAYA أول انجاز سينمائي فرنسي (وفق تصريح المخرج) يتناول ظاهرة الإسلاموفوبيا في فرنسا، فإنّ هذه الدراسة ستكشف للقارئ الجزئيات التي تتغافل عن طرحها الأفلام السينمائية الفرنسية مثلا التي تسيء للإسلام والمسلمين.

3. منهج الدراسة ومقاربتها:

اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج السيميولوجي باعتباره منهج يقوم على الوصف والتحليل، بل يتعدى الوصف الظاهر ليشمل المعنى المعمق وذلك بالكشف عن الدلالات اللغوية وغير اللغوية، بمعنى آخر تفكيك الرموز وتركيب الدوال اللغوية النصية أو البصرية لكشف المعنى أو المعاني واستخراج دلالتها. ومن ثم فالهدف من دراسة المحتوى سيميولوجيا وتطبيقيا، هو البحث عن المعنى والدلالة واستخلاص البنية المولدة للمحتوى منطقيا ودلاليا. (السيد، 2008، صفحة 17)

كما وظفنا في دراستنا هذه مقاربة رولان بارت Roland Barth ذات الاتجاه الدلالي التي تقوم على تفكيك مختلف الدلالات المتضمنة في الفيلم السينمائي الفرنسي "سمية" على المستوى التعييني والمستوى التضميني. حيث يَعتبر رولان بارت الفيلم كـ "نص" لا يُنظر إليه فقط على أنّه سيناريو يحتوي على تنسيق سمعي بصري ولكن باعتباره مجموعة متشابكة من الإشارات المحملة بالمعاني. كما تهتم السيميولوجيا وفق بارت بدراسة العلامات المنتشرة في كل مكان وفي كل مجالات الحياة وهي نوعان: لساني مجاله في اللغة وغير لساني يظهر في الشم والذوق واللمس والإيماءات والصوت واللباس والطعام وإشارات المرور والطرق وأحوال الطقس والأنظمة العسكرية وفي الآلة أيضا وغيرها. (بركات، 2002، صفحة 57)

4. عينة الدراسة:

اعتمدنا في دراستنا هذه على المعاينة القصدية، فبعد الاطلاع على الإنتاجات السينمائية المتوفرة، التي قاربت موضوع الإسلاموفوبيا في السينما الفرنسية قمنا باختيار فيلم ""**سمية**".

ثانيا: التحليل السيميولوجي للفيلم السينمائي الفرنسي SOUMAYA

1. بطاقة فنية عن الفيلم:

- **عنوان الفيلم: SOUMAYA**
- **الجنسية:** فرنسية
- **المدة الزمنية:** ساعة و42د و45 ثا
- **نوع الفيلم:** دراما تراجيدية (مستوحاة من أحداث واقعية)
- **المخرج:** عبيدة أبو أسيد ووحيد خان
- **سنة الانتاج:** 2019
- **سنة العرض في دور السينما:** فيفري 2020 بباريس
- **ميزانية الفيلم:** 27000 يورو
- **انتاج:** Collectif Contre l'Islamophobie en France (CCIF)

2. ملخص الفيلم: سمية إطار في فيسكو (**FESCO**) شركة أمن المطارات، كانت تعمل لمدة (14) عامًا في هذه الشركة، وتم طردها دون سابق إنذار بعد مداهمة الشرطة لبيتها ليلا. وتكتشف بعدها أنّ سبب طردها من العمل في مساء نفس اليوم من خلال وسائل الإعلام بتهمة التواطؤ مع الجماعات الإرهابية، بعدها تشرع سمية، في إجراءات قانونية بسبب الإجراء التعسفي في حقها.

3. التحليل التعييني والتضميني للمقاطع المختارة من الفيلم السينمائي SOUMAYA

المقطع الأول: طرد سمية من العمل

نشاهد بلقطة مقربة سمية نزعت خمارها قبل الدخول إلى مقر مؤسسة العمل، ثم تصور عدسة الكاميرا بلقطة بعيدة طائرة في السماء. نشاهد سمية تدخل إلى مكتب أوريلي، مديرة الموارد البشرية. كما نشاهد شخصين يخرجان من مكتب آخر بيد أحدهما كاميرا. تجلس سمية وتبدأ الحديث باعتذارها عن تأخرها بسبب ابنتها التي رفضت الذهاب للمدرسة، كما أنها تحاول أن تشتكي من زميلها غيوم فتقاطعها أوريلي وتسلمها وثيقة طردها من

العمل بسبب "اهمال كبير" فتسأل سمية عمّا يحدث فترد أوريلي، بعدم علمها وأنّها غير مسؤولة عن مضمون الرسالة. تُصرّ سمية مرة أخرى حتى تجيبها أوريلي أنّ المسؤولون علموا بمداهمة الشرطة لبيتها ليلة أمس.

تم توظيف الفضاء المكاني في هذا المقطع والمتمثل في المؤسسة كدلالة توضيحية لمهنة سمية والمتمثلة في كونها إطار بشركة فيسكو لتأمين المطارات. وقبل أن تدخل إلى الشركة تنزع خمارها، وهذا دلالة على أنّ فيسكو تمنع الرموز الدينية. (أنظر الفوتوغرام رقم 01) واعتذار سمية من زميلتها مديرة الموارد البشرية عن تأخرها عن العمل، بسبب ابنتها التي لم ترد الذهاب للمدرسة، يدل على أنّ جيهان، لازالت مرعوبة ممّا حدث ولا تريد أن تفارق أمّها. تحاول سمية أن تشتكي من زميلها غييوم، الذي يزعجها بتعليقاته السلبية عن حجابها، وهذه أول إشارة له في الفيلم، فهو شخصية خيالية والمتسببة في الأحداث الدرامية التي ستعيشها سمية في الفيلم؛ إلّا أنّ أوريلي تقاطعها وتسلمها وثيقة الإقالة من العمل بتاريخ **09 ديسمبر 2015**، الرسالة تحمل عنوان: **إقالة من العمل استدعاء لمقابلة أوّلية**. نفهم من خلال تاريخ هذه الرسالة أنّ تم تفتيش بيت سمية من طرف الشرطة وإقالتها من العملة حدث تقريبا شهر بعد إعلان حالة الطوارئ في فرنسا، التي صرّح بها الرئيس الأسبق الفرنسي فرانسوا هولاندFrançois Hollande، مساء هجمات باريس في 13 نوفمبر 2015.

الفوتوغرام رقم (01)

تدل أيضا مخاطبة أوريلي لسمية بلغة رسمية، على أنّها أصبحت غريبة عن الشركة وأنّ قرار الفصل حاسم لا رجوع فيه. تسمع سمية صوت طائرة فتلتف لترها تحلق في السماء، ثم تمشي لتبتعد شيئا فشيئا عن مكان المؤسسة كأنها تودع هذا المكان، فلم يعد باستطاعتها قول أنا ذاهبة للعمل، وهذا **دلالة رمزية** عن انهيار حياتها المهنية.

تعمّد المخرجان اختيار سمية (امرأة) كشخصية رئيسية ومحورية لسببين؛ أوّلهما: أنّ قصة الفيلم مستوحاة من أحداث واقعية والضحية فيها هي امرأة مسلمة؛ ثانيا: المرأة المسلمة في فرنسا أكثر تعرضا للأفعال الإسلاموفوبية، لأنها متحجبة وحجابها ظاهر للعيان. فوفقا لبيانات التقرير السنوي لـ CCIF لسنة 2015، تم تسجيل ارتفاع الأفعال الإسلاموفوبيا إلى (18.50) بالمائة مقارنة بسنة 2014، أمّا في 2019 نسبة الممارسات الاسلاموفوبية ازدادت بنسبة (77) بالمائة مقارنة بسنة 2017، حيث سجّل المركز (446) ممارسة اسلاموفوبية سنة 2017، بينما ارتفع عددها إلى (789) سنة 2019، ونسبة 70 بالمائة من هذه الضحايا هم نساء. (France، CCIF، 2018) كما هَدَفَ المخرجان من خلال شخصية سمية إلى الحديث عن مكانة المرأة المسلمة في المجتمع الفرنسي فهي قادرة على شغل مناصب حساسة ومهمة مثل ضمان أمن المطارات الفرنسية، وبهذا يلغي المخرجان الصورة النمطية السلبية المتداولة في الأفلام الغربية عموما عن المرأة العربية أو المسلمة، والمتمثلة في كونها امرأة أميّة. كما ناقض المخرجان هذه الفكرة من خلال استقلالية سمية، التي تجلّت في كونها امرأة مطلقة إلّا أنّها تعيش مع ابنتها مستقلة عن عائلتها ولا تخضع لأي سلطة ذكورية.

المقطع الثاني من الفيلم: معرفة سمية سبب إقالتها

تنتقل بنا الكاميرا إلى فضاء داخلي جديد، بلقطة متوسطة نشاهد جميلة أم سمية، سنان أخوها وجيهان بنتها، الكل جالس في غرفة المعيشة إلّا سمية تتحدث في الهاتف. تجلس الجدة على الأريكة في أحضانها جيهان تشاهد نشرة الأخبار التي تعلن عن اقالة عاملة من شركة تأمين المطارات فيسكو لأنّها على تواصل مع الجهاديين. فنسمع لمدير الشركة في التقرير الاخباري قائلا: "**... لا شيء يشير إلى تطرفها في العمل، فوفقا لمعلوماتنا فإنها تنزع خمارها الإسلامي خلال دوامها لارتدائه مرة أخرى بعد ذلك**"، يسأل سنان، جيهان، إن جاءت الشرطة لبيتهم فتبكي هنا تفهم العائلة أنّ الموضوع متعلق بسمية، ويواصل المدير: "**هذه العاملة يمكنها الوصول إلى معلومات حساسة، فكما تعلمون مدرجات هبوط الطائرات تشكل مواقع استراتيجية لأي هجوم إرهابي آخر**". في هذه اللحظة تدخل سمية إلى غرفة المعيشة فتجد أخوها وأمها مصدومين وابنتها تبكي في أحضان جدّتها، فتسمع مدير الشركة يقول: " **نحن في مرحلة لا يحق لنا أن نقترف أي خطأ**"، وبلقطة مقربة نرى ملامح الحيرة والصدمة على وجه سمية.

يؤكد تصريح مدير المؤسسة أنّ سمية تم طردها على أساس شكوك وتوقعات ولا يملك أي دليل يثبت اتهامه، ولرسالته الألسنية دلالة على أنّ الحجاب الذي ترتديه سمية خارج مكان العمل هو العنصر المزعج كونها

تشتغل في قطاع حسّاس، أين يعتبر ارتداء الخمار مؤشر من مؤشرات التطرف، فهو لا يلقى قبولًا جيدًا في فرنسا وغالبًا ما يُصوّر أنّه يعرض القيم العلمانية والجمهورية للخطر، فالحجاب الإسلامي من "المؤشرات الضعيفة" التي يتم ربطها في النقاش العام بشكل مباشر بالراديكالية للإسلام أو حتى بالإرهاب.

حاول المخرج من خلال هذا المقطع الإشارة إلى الإجراءات التعسفية في حق المرأة المسلمة كونها تحمل مؤشرات تعكس ديانتها، في تقويض والحد من الحريات الفردية الأساسية. ويدل الإقصاء التعسفي لسمية من منصبها أنّها كانت ضحية للإسلاموفوبيا المؤسساتية، حيث يذكر تقرير **CCIF** لسنة 2015، أنّ اعتبارًا من هذه السنة أصبحت الإسلاموفوبيا شكلاً من أشكال العنصرية المؤسساتية. حيث سجّل **CCIF** نسبة (64) بالمائة من حالات التمييز جاءت من مؤسسات الدولة الفرنسية. وهذا يدل على عدم وجود اعتراف رسمي بظاهرة الإسلاموفوبيا، وإن لم تتصرف السلطات المعنية بالأمر لوقف تنامي هذه السلوكات، فإنّها تمنح ترخيص للتمييز العنصري لأرباب المؤسسات. كما تحمل تصريحات مدير شركة فيسكو دلالات أخرى تنعكس على شخص سمية وعائلتها التي كانت ضحية للتشهير وتشويه السمعة أمام الرأي العام من خلال وسائل الإعلام. وعليه فإنّ سمية تعرضت للإسلاموفوبيا الإعلامية أيضا.

المقطع الثالث من الفيلم: لقاء سمية بالمحامية مريم

في هذا المقطع نشاهد لقاء سمية في فضاء داخلي مع المحامية مريم بعد خروجها من المحكمة في مكتبها رفقة المساعدة بلقطة مقربة حتى الصدر، تطلب شرح ما حدث معها في الشركة، فتشير المحامية بيدها إلى مجموعة من الملفات حول قضايا اقالات تعسفية من العمل مثلما حدث معها تماما، غير أنّ قضيتها وصلت إلى وسائل الإعلام.

تواصل المحامية طرح أسئلة للتعرف أكثر على نشاطات سمية خارج العمل، فتخبرها أنّها متطوعة في المسجد، ثم تسألها عن علاقتها بزملائها في العمل، في الوقت نفسه تبحث مساعدة المحامية عن الموقع الالكتروني للمسجد، تجيبها سمية أنّ علاقتها جيدة إلّا مع زميلها غييوم الذي صادفها في موقف السيارات بحجابها، ومنذ ذلك الحين لا يتوقف عن توجيه تعليقات سلبية عن الإسلام. تتدخل المساعدة لتُري المحامية مريم ما نشر في الموقع عن سمية: " **سمية ناشطة جدا في المجتمع، وراء ابتسامتها وفرحها في العيش نشاط عظيم في سبيل الله**". تتدخل سمية قلقة لتشرح لهما أنّها ليست مسؤولة عمّا ورد في الموقع وإنّما الذين قاموا بمقابلة معها، فتطمئنها المساعدة انها تعلم معنى العمل في "**سبيل الله**" عكس زميلها الفرنسي غييوم. تربط المحامية مريم سياق الأحداث

وتخبر سمية أنّ زميلها هو من بلّغ عنها في المنصة الالكترونية للتبليغ عن التطرف، فتسأل سمية إن كان هذا التبليغ سيرسل إلى المدير فترد عليها أنّ الأمر أسوء من ذلك فالتبليغ يُرسل إلى المُحافظ الذي بدوره يُرسل إلى فرقة الشرطة التي داهمت بيتها على الساعة الرابعة صباحا. وتضيف المحامية أنّ منذ حالة الطوارئ في فرنسا وجب على المتَّهَم اثبات براءته وأنّه لا يريد سوءًا بالجمهورية. فتسأل سمية عن كيفية اثبات ذلك، فتجيبها المحامية والمساعدة أنّ عليها أن تثبت حسن نيتها اتجاه الجمهورية الفرنسية. يقول في هذا الصدد حسني عبيدي، رئيس مركز الدراسات حول العالم العربي بجنيف، أنّ: "الهجمات التي تعيشها فرنسا ستكون لها تداعيات كبيرة على المسلمين، في ظل مناخ معاد يطلب منهم في كل مرّة إثبات شهادة **حُسن السّلوك الجمهوري**". (الاسلاموفوبيا ستصبح الاسمنت الجديد لهوية أوروبية مفقودة 2015، صفحة 05) بمعنى أنّ المسلم في فرنسا متهم بالتطرف والإرهاب إلى غاية إثباته عكس ذلك.

تميّزت شخصية غييوم بغيابها في الفيلم، فهو لا يظهر إطلاقا إلّا أنّه كان السبب في كل ما يحدث مع سمية. يرمز غييوم في الفيلم إلى المراقبة الغير مرئية فهي في كل مكان علينا اليقظة منها، ويشرح هذه الفكرة وحيد خان، أحد المخرجين، أنّ كل ما يحدث في فرنسا منذ سنة 2015، هو جزء من فكرة "المؤشرات الضعيفة" التي تحدث عنها في الفيلم، حيث يعيش المواطنون في ظل مناخ يسوده الوشاية والتبليغ. وقد اختار المخرجان حالة الطوارئ كنقطة انطلاق الفيلم من خلال شهادة الضحية الحقيقية، لأنّهما التمسا "الحاجة إلى صنع فيلم يتناول السياق السياسي الذي أدى إلى آلاف عمليات التفتيش والفصل في فرنسا كإجراءات وقائية من الإرهاب. وحتى الآن، لم تعالج الإنتاجات السينمائية هذه المشكلة، كما أعطت وسائل الإعلام الرائدة وجهة نظر الدولة مبررة هذه الإجراءات الوقائية التعسفية، لذلك كان من الضروري اقتراح وجهة نظر أخرى". (أسيد، 2019)

المقطع الرابع من الفيلم: مداهمة الشرطة لبيت الشيخ (إمام المسجد)

نشاهد في هذا المقطع بلقطة متوسطة سمية وسنان، واقفان أمام بيت الشيخ، يطرق سنان الباب فتلاحظ سمية آثار الضرب عليها، فيفتح الشيخ ويطلب منهما الدخول بسرعة. نرى ضمادة في كتفه الأيسر وهو يرتدي قميص أزرق، ثم يطلب من سمية الجلوس. تقوم سمية بفتح الستائر ليدخل ضوء النهار لقاعة المعيشة. وبينما يُعدّ سنان الشاي في المطبخ تجلس سمية على الأريكة والشيخ بجانبها على كرسي صغير يكتب على ورقة فوق الطاولة فتسأله سمية عن تاريخ المداهمة فيجيبها "**السبت**". تسأل سمية الشيخ إن كانت عائلته حاضرة يومها فينهار نفسيا، ويصرخ راجيا منها التوقف عن مناداته بـ "**الشيخ**" لأنّه ليس كذلك. تندهش سمية، من ردّة فعله،

فيقول لها باكيا: "**أنا لا شيء، أنا جبان**". يواصل المخرجان تصوير الشيخ بلقطة مقربة حتى الصدر واقف يبكي ويروي أحداث المداهمة فيقول لسمية، أنّ أمّه كانت جالسة في غرفة المعيشة وزوجته وأبنائه بجانبها. يستحضر الشيخ صور تكبيله من طرف الشرطة وهو جالس على الأرض ويداه وراء ظهره. (أنظر الفوتوغرام رقم 02) يقول الشيخ لسمية أنّه كان متفهما عمل الشرطة حتى حين أخبروه أنّهم يبحثون عن سلاح في بيته، عندها انهار الشيخ باكيا فنشاهده يضع يده على رأسه، ويقول أنّه لم ينسَ الشرطي الذي كان يقول له: "**اغلق فمك، اغلق فمك**"، عندما كان يحاول التحدث. يواصل الشيخ سرد الأحداث فيقول لسمية أنّه تحمّل كل ذلك إلّا عندما قال ذلك الشرطي لأمه: "**اغلقي فمك يا فاسقة**"، **فنشاهد سمية مصدومة مما سمعته، وتضع يدها على فمها، فيردّد الشيخ بصوت مرتفع "أتقبّل كل شيء إلّا هذا الأمر، أتقبل كل شيء إلّا هذا الأمر"**، ثم يضيف قائلا أنّه لم يتمكن من منع ما حدث، حيث حاول النهوض إلّا أنّ الشرطي ضربه على كتفه، ثم يردد باكيا: "**لم أتمكن من فعل أي شيء أقسم أنّني لم أتمكن من فعل أي شيء... إنّها أمي يا سنان... أفضل الموت ألف مرة بدل عيش هذه اللحظة**".

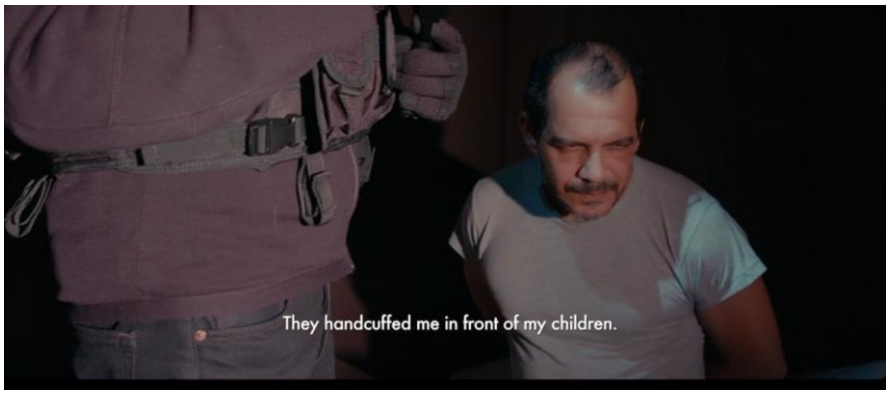

الفوتوغرام رقم (02)

يدل القميص الأزرق اللّون، الذي يرتديه الشيخ على حالته النفسية، حيث يحمل هذا اللّون دلالات عن شدّة الكآبة والحزن العميق، ويقترن بالخيبة والهلاك، ويتجلى ذلك في شدّة التعب والحزن والارتباك الذي يظهر على وجهه. كما يدل تردد على فتح الباب على أنّه خائف من عودة الشرطة، أمّا تكميد كتفه الأيسر فيدل على ضربه أو تعنيفه من طرف الشرطة. وفتح سمية الستائر دلالة على كآبة وانهيار الشيخ نفسيا، فهو يعيش في الظلام رغم ضوء النهار، يفضل البقاء في عزلته بعيدا عن نظرات الجيران له. (انظر الفوتوغرام رقم 03) يؤكد الشيخ أن مداهمة بيته تمت يوم السبت، أي في اللية نفسها التي داهمت فيها الشرطة بيت سمية، وهذا يدل على أنّ المداهمتين تمت للسبب نفسه، أي أنّه هو أيضا متهم بالتطرف والتواطؤ مع الجماعات الإرهابية.

يستحضر الشيخ صور تكبيله من طرف رجال الأمن، وتصويره بلقطة غطسية يحمل دلالة على شعوره بالضعف والانكسار والتحكم فيه (والسيطرة عليه) في تلك اللحظة. إضافة إلى الرعب الذّي عاشته العائلة عند اقتحام بيتها ليلا، يتم شتم أم الشيخ ونعتها بالفاسقة، وضرب ابنها عندما حاول التّدخل للدفاع عنها، وهذا دلالة على تعنيف الأم معنويا بالشتم وشعور الابن بالقصور وتأنيب الضمير لما حدث مع أمّه، وهذا ما أزّم حالته النفسية، إضافة إلى العنف المادي الذي تعرض له. تحمل هذه السلوكات دلالات ضمنية مفادها أنّ الشرطة تتمتع بصلاحيات واسعة عند المداهمة فتتجرأ على التعنيف بأنواعه، ثم المغادرة كأن شيئا لم يحدث، ويبدو أنّ الشرطة لم تجد الأسلحة التي جاءت لتبحث عنها، فغادرت بيت الشيخ تاركة وراءها آثار وتداعيات على العائلة دون الاعتذار منها.

تنتقل بنا الكاميرا لتصور لنا الشيخ وسمية وسنان، داخل السيارة نشاهد سمية بلقطة مقربة حتى الصدر، تسأل إن كان ما وقع للشيخ حالة خاصة، فيرد عليها: "لا يمكنك تخيل الوسائل التي يمتلكونها سيفعلون كل شيء ... سوف يبحثون في كل مكان لوضعك في مشكلة"، ولهذه الرسالة الألسنية دلالة على أنّ مداهمة بيت الشيخ ليست حالة خاصة، وإنّما حالة واحدة من بين العديد، حيث يذكر الموقع الالكتروني للقناة الاخبارية **France 24**، أنّه تم مداهمة وتفتيش(4457) بيت خلال حالة الطوارئ، وقد تم تسجيل حوالي (2000) مداهمة في شهر واحد بعد الإعلان عن حالة الطوارئ. (فرنسا: ماذا تعني حالة الطوارئ وماهي الإجراءات المرافقة لها؟ (فرنسا: ماذا تعني حالة الطوارئ وماهي الإجراءات المرافقة لها؟ (فرنسا: ماذا تعني حالة الطوارئ وماهي الإجراءات المرافقة لها؟ (فرنسا: ماذا تعني حالة الطوارئ وماهي الإجراءات المرافقة لها؟ 2019) ودعت أصوات عديدة إلى إيقاف المداهمات وعمليات التفتيش بعد أن أثبتت فشلها مقارنة بعددها المفرط ويشهد على هذا الانحراف الأمني الذي أدانه القضاة أنفسهم. ويتساءل مجلس الدولة، وهو أعلى محكمة إدارية، عن جدية تطبيق المادة (66) من الدستور الفرنسي التي تؤكد أنّ: "السلطة القضائية تتكفل بحماية الحرية الفردية" (فرنسا: ماذا تعني حالة الطوارئ وماهي الإجراءات المرافقة لها؟ 2019).

المقطع الخامس من الفيلم: زيارة سمية والمحامي قيس لبشير في بيته

في هذا المقطع، نتعرف على شخصية جديدة كانت هي أيضا ضحية لإقالة تعسفية والمتمثلة في شخصية بشير عامل في المطار. نشاهد في هذا المقطع سمية مع المحامي قيس جالسان رفقة بشير الذي اتُّهِمَت سمية بتسليمها له شارة العمل الخاصة بها. نشاهد سمية بلقطة مقربة حتى الصدر تخبر بشير أنّ طرده من العمل

أمر طبيعي وينبغي تفهم النظام الفرنسي الذي اعتاد أن يبني ثروته على ظهر البلدان المستعمرة في افريقيا، وها هم سكانها اليوم يفجرون هذا البلد (إشارة إلى الهجمات الإرهابية)، فتنصدم سمية من تفكير بشير وكيف يفصل نفسه عنهم "هم الفرنسيين وهو المسلم" علما أنّه فرنسي مثل باقي المواطنين، فهو ولد وكبر في فرنسا. كما نشاهد بلقطة مقربة حتى الصدر بشير يتحدّث أيضا عن حالة سوريا، فلسطين والعراق، وأنّه من الطبيعي أن يكون هناك مسلمون يريدون الانتقام لإخوانهم وذلك بتفجير البلد. فيتدخل المحامي قيس غاضبا من تفكير بشير ويخبره أنّ أمثاله لا مكان لهم في فرنسا، وكل ما يقوله مجرد تفاهات. ثم يضيف بشير أن طرده من العمل بسبب صلاته أثناء فترة الاستراحة يشرّفه لأنّ الرسول ﷺ والمسلمون الأوّلون طُرّدوا واضطهدوا لأنّهم يصلّون، فتسأله سمية إن كان يعتقد أنّ الإسلاموفوبيا أمر عادي؟ فيرد عليها أنّه لا يعني ذلك وإنّما تطبيق الإسلام في فرنسا يزعج النظام خاصة في السياق السياسي الحالي أين يمكن لأي مسلم "غير متزن" أن يوصلهم إلى وضع مأساوي ويصف ذلك بالحرب المضادة. نشاهد المحامي قيس بلقطة مقربة حتى الصدر منزعج جدا من كلام بشير. في الأخير، يخبر بشير سمية أنّه لم يستخدم شارة عملها وينتهي الحوار بلقطة متوسطة لنشاهد سمية تشكر بشير لاستقبالها.

يعبّر بشير في هذا المقطع عن وجهة نظره المتمثلة في كونه لم يعد يثق بمؤسسات بلده ولا يؤمن كثيرا بالعدالة، ولا بقيم المساواة والحرية التي يُفترض أن تعتز بها الجمهورية الفرنسية. تكمن خصوصية شخصية بشير في أنه لا يرفع دعوة قضائية عن اقالته التعسفية، وهو بذلك لا يريد محاربة هذا النظام حتى أنّه يجد ذلك طبيعيا بالنظر إلى تاريخ فرنسا الاستعماري. ويقول "**بفضل زوجتي، بدأت أطبق تعاليم الدّين مؤخّرا، وأصلي منذ تقريبا سنتين... والإسلام منحني السكينة أبعدني عن العنف**"، أي أنّ الإسلام والروحانية العميقة هي التي تسمح له بعدم الوقوع في التطرف. كما يعتبر أنّ الهجمات الإرهابية التي تعيشها فرنسا ماهي إلّا رد فعل على التّدخل العنيف للدول الغربية في الشرق الأوسط على سبيل المثال، فبالنسبة له، هي حرب مضادة فيتهمه قيس بالترويج وتبرير العمليات الإرهابية التي شهدتها فرنسا.

حاول المخرجان إظهار عمق الإشكال؛ إشكالية مقاربة وتفسير ظاهرة الإرهاب في فرنسا وذلك بمقاربة الموضوع برؤيتين مختلفتين، فهناك من السياسيين والمحلّلين الفرنسيين الذين قدّموا نفس تحليل بشير، ولم يتهموا بالترويج للإرهاب. كما هدف المخرجان من خلال هذا المقطع إلى تمرير رسالة ذات **دلالة ضمنية** مفادها أنّ نَسب الهجمات الإرهابية إلى الإسلام، هو تفسير سطحي يتناسى ويتغاضى عن العوامل الاجتماعية والجيوسياسية؛ فالنظر إلى الإسلام على أنّه سبب الإرهاب في فرنسا هو تفسير أسهل من الأخذ بعين الاعتبار القضايا السياسية الجوهرية والمظالم التي تعصف بالكثير من بلدان العالم الإسلامي (أي فشل الكثير من المجتمعات والحكومات

في العالم الإسلامي، بسبب سياسة فرنسا، الخارجية المتمثلة في التدخل والسيطرة على هذه البلدان ودعمها، للأنظمة الاستبدادية، ودعم غزو العراق وأفغانستان...) ودعم الحروب الإسرائيلية في فلسطين، ومساندة الأنظمة الدكتاتورية العربية وغيرها من القضايا، فالإرهاب في فرنسا ما هو إلّا انعكاس للسياسة الخارجية لها، وذلك من خلال شخصية بشير الذي يقول: "**أسّست فرنسا حضارتها باستعمار وهلاك واستنزاف ثروات البلدان الإفريقية وتفجير البلدان الإسلامية منذ عشرات السنين كي تبقيهم في حالة ضعف. ومسلمو فرنسا، يشاهدون ما تفعله بإخوانهم في سوريا، فلسطين والعراق**". حيث تعد فرنسا من أكثر الدول الغربية انخراطا بجيشها في محاربة الحركات المتطرفة الإسلامية في إفريقيا بشكل مباشر، ويمكن الاستشهاد في هذا الصدد بإعلان الرئيس الفرنسي السابق فرانسوا هولند، في 11 جانفي 2015، بقوله "**لقد انخرطت القوات المسلحة الفرنسية في هذا المساء إلى جانب القوات المالية لمقاومة العناصر الإرهابية القادمة من الشمال**". ويقول في هذ الصدد ناشط فرنسي في الإرهاب العالمي "**لا غموض في هذه المسألة، يجب مهاجمة الكفار في كل مكان أينما وجدناهم، ومن الأفضل تنفيذ ذلك في بلدانهم، لأنّهم لم يعتادوا رؤية الموت ورؤية الدم ولا خوض الحرب. هم موافقون على الموت عندما لا يرونه، وهم لا ينصدمون بموت الأطفال في كل الأيام، لأنّهم لا يَرَونهم.**" (الزايدي،2017، صفحة 88)

كما حاول المخرجان الإشارة إلى عامل آخر أسهم في ارتفاع العمليات الإرهابية في فرنسا وهو إقصاء الشباب الفرنسي المسلم من الحياة الاجتماعية، ومنعه من الاندماج فيها، حيث غالبا ما تُوَلّد هذه المعاملات المتطرفة اتجاه المسلمين في فرنسا التطرف نفسه، حيث أكّدت دراسة ميدانية أنجزها مركز دراسة الإرهاب CAT (Center for the Analysis of Terrorism) في عام 2017 أنّ أكثر المنخرطين الفرنسيين في الإرهاب هم أولئك العائدين من سوريا من أصول مهاجرة فرانكفونية، وما يؤكد ذلك أيضا، بروز ما سمي في فرنسا "الإرهاب المحلي" Terrorisme domestique، فإنّ (67) بالمائة من الذين قاموا بعمليات إرهابية في فرنسا حاملون الجنسية الفرنسية، فعملية (13) نوفمبر 2015 مثلا، نفّذها سبعة (07) عناصر انتحارية، منهم أربعة (04) شباب فرنسيين من الجيل الثاني، وهذا ما يُبرهن أيضا صحة هذه الفرضية؛ فالشباب الفرنسي من أكثر الملتحقين بداعش مقارنة ببقية الدول الأوروبية." (الجمل، 2018).

وعليه، فإنّ مساهمة مؤسسات الدولة الفرنسية في خلق التعصب والتطرف لدى الشباب الفرنسي بسبب سياسة التعامل العنصري والتهميش التي تسببت في خلق ظروف اجتماعية مزرية يتم استغلالها من طرف حركات غير قانونية، نتج عنها ظاهرة الإرهاب باسم الإسلام في تلك الدول، حيث صرّح الرئيس الفرنسي **إيمانويل ماكرون،**

في خطابه يوم 02 أكتوبر 2020، أنّ الحكومة الفرنسية أسهت في ظهور الجماعات المتطرفة في فرنسا، وهذا ما يخلّف ظاهرة أخرى أكثر تعقيدا وهي الإسلاموفوبيا.

تناول المخرجان في هذا المقطع أيضا اختلاف القناعات بين المسلمين اتجاه عنصرية مؤسسات الدولة فموقف سمية إزاء ما حدث معها مختلف تماما عن موقف بشير، فسمية، تكافح بالتوجه للعدالة التي تثق فيها وتعتبر نفسها مواطنة فرنسية بامتياز. بينما يفضل بشير التركيز على ذاته وعلى الروحانية وعدم إضاعة الوقت مع ضغوط الإجراءات القانونية لأنه لا يثق في العدالة، فبالنسبة له ترتبط فرنسا ومؤسساتها تاريخيا بالعنصرية. فبشير يرى أنّ الجمهورية الفرنسية لم تعد تمثله.

المقطع السادس من الفيلم: مداهمة الشرطة للمسجد

يصور المخرجان في هذ المقطع مداهمة الشرطة للمسجد أين يتواجد سنان برفقة جيهان. تتصل سمية بأخيها لتخبره أنّها قادمة لتأخذ ابنتها. وحين وصولها للمسجد نشاهد بترافليغ خلفي فرقة من الشرطة تتأهب لمداهمة المسجد، (أنظر الفوتوغرام رقم 04) فتسرع لتسألهم عمّا يحدث فيطلب منها قائد الفرقة التراجع. فتُسرع سمية إلى سيارتها لجلب مفتاح الباب الخلفي للمسجد وتخبر القائد أنّها تملك المفتاح فلا حاجة لكسر الباب، إلّا أنّه لا يأخذ كلامها بعين الاعتبار رغم إلحاحها، فيرد عليها قائد فرقة الشرطة: " **أسمعك جدا، لكن وجّهت إلينا أوامر هل تفهمين علي؟**" نشاهد سنان يطلب من جيهان البقاء داخل قاعة الدرس وعدم الخروج منها، ثم يأخذ الكاميرا ليصور ما يحدث في الخارج. نشاهد أحد الشرطيين يلتفت إلى سمية ويصرخ طالبا منها التراجع ثم يجري اتجاهها ليدفعها بكل قواه، فتتراجع سمية بسرعة فيسقط هو أرضا، تنظر سمية إليه مصدومة من سلوكه. يقوم سنان بتصوير ما حدث حتى ينتبه إليه شرطي ويخبر زملائه أنّ أحدهم يصور من الداخل فتقتحم الشرطة الباب الخلفي للمسجد وتقبض على سنان، يقوم أحدهم برمي الكاميرا فتتكسر. يسقط سنان أرضا فيضربه أحد الشرطيين برجله إلى بطنه ويطلب منه النهوض، ثم يتم تكبيل يداه خلف ظهره ورأسه بمواجهة الحائط، (انظر الفوتوغرام رقم 05) في هذه الأثناء تحاول سمية الدخول وتخبر الشرطة أنّ ابنتها هناك فيتم إخراجها بالقوة ونشاهدها بلقطة مقربة حتى الصدر تبكي وتنادي أخاها (أنظر الفوتوغرام رقم 06). كما نشاهد بعدها بلقطة مقربة حتى الصدر جيهان واقفة ثابتة مرعوبة.

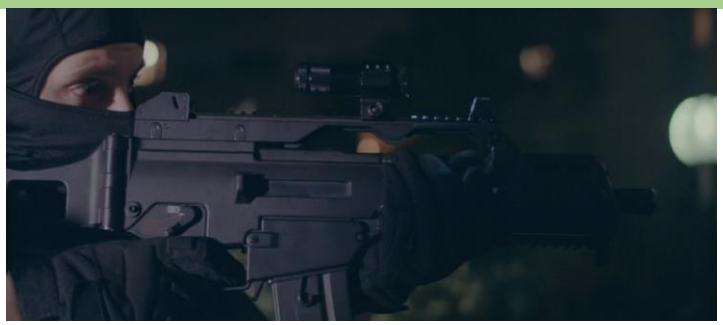

الفوتوغرام رقم (04)

الفوتوغرام رقم (05)

الفوتوغرام رقم (06)

تنتقل بنا الكاميرا إلى فضاء آخر، أين نشاهد سمية رفقة سنان وابنتها جيهان في السيارة يستمعون إلى تلاوة القرآن والصمت سائد. نقل إلينا المخرجان من خلال هذا المشهد جو من الاستقرار والسكينة كأنّ شيئا لم يحدث، ويحمل هذا المشهد **دلالة ضمنية** على أنّ القرآن مصدر للطمأنينة والسلم يلجأ إليه المسلمون لمواجهة الأوقات الصعبة، وبهذا يفنّد المخرجان الصورة النمطية السلبية حول كون القرآن مصدراً للعنف والتطرف. ثم نشاهد سنان يسلّم حافظة الكاميرا التي سجّلت ما قامت به الشرطة في المسجد لسمية فتضعها في جيبها.

يحمل هذا المقطع دلالات عميقة عن عنف الشرطة التي تقوم باستعراض قوتها كجهاز من أجهزة الحكومة الفرنسية وقت الأزمة، وذلك بتدمير المساجد، تحطيم الأبواب المفتوحة، تكبيل المسلمين وإهانتهم أمام أسرهم

واطفالهم. فإن عملية المداهمة هي نفسها: الاندفاع، الخوف الصدمة، وإظهار من هو "القوي". وفي هذا الصدد عبرّت CCIF، حينها عن قلقها بشأن حالة الطوارئ، حيث جاء في تقريرها لسنة 2015، عن النتائج المترتبة على أولئك المستهدفين ظلماً من خلال عمليات التفتيش بعد المداهمات "الوقائية"، ويتم تنفيذ ذلك أحيانًا باستخدام أساليب مشكوك فيها للغاية كالعنف اللفظي والعنف الجسدي، حيث تجلّى العنف اللفظي في الشريط الصوتي للشرطي:" **تبّا لك، ألا تفهمين أنّنا طلبنا منك التّراجع**"، أمّا العنف الجسدي **تجلى** في محاولة الشرطي ضرب سمية، والتّهجم على سنان، وطرحه أرضا وتكبيله، وكسر الكاميرا. التي تعتبر إثبات يُدين الشرطة في المحكمة، لذا قام الجهاز الأمني بتكسير آلة التصوير لحذف كل دليل يثبت تورطهم أمام العدالة. ويعد هذا الاستخدام السيء للسلطة مقلق جدا، خاصة وأنّ مركز العلوم للبحوث السياسية، كشف أن أكثر من نصف سلك الشرطة والجيش (51.5٪) صوتوا خلال الانتخابات المحلية لعام 2015، للجبهة الوطنية، وهو حزب إسلاموفوبي بامتياز. كما سجل CCIF في هذا الصدد، في غضون ثلاثة أسابيع أعقاب هجمات شارلي (120) فعل إسلاموفوبي، من بينهم (30) هجومًا على أماكن العبادة، (France c. c., 2015) وهذا ما يفسر تصرفات رجال الأمن في المقطع.

4. **نتائج التحليل السيميولوجي:** في الأخير توصلنا إلى النتائج الآتية:

❖ ركّز الفيلم على الإسلاموفوبيا المؤسساتية بعد حالة الطوارئ في فرنسا في 13 نوفمبر 2015، التي تجلت في مداهمة بيت سمية بحثا عن دليل يثبت تورطها مع جماعات إرهابية، فصل سمية من العمل تعسفاً، ودون اخبارها بسبب الإقالة، فصل سمية من العمل لأنّها ترتدي الحجاب وتشارك في النشاطات الخيرية في المسجد اتهام سمية بالتواطؤ مع الجماعات الإرهابية بسبب ارتدائها الحجاب بعد مزاولة العمل والمشاركة في نشاطات خيرية في المسجد اتهام سمية بالتطرف والراديكالية، فصل بشير من العمل لأنّه يصلي في أوقات الاستراحة مداهمة بيت الشيخ (إمام المسجد) بحثا عن السلاح في بيته بتهمة التواطؤ مع الجماعات الإرهابية دون دليل يدينه، مداهمة وتفتيش الجهاز الأمني لأماكن العبادة مثل المساجد واستغلال رجال الأمن لسلطتهم خلال حالة الطوارئ بطريقة تعسفية اتجاه المسلمين.

❖ للفيلم ميزة أساسية تمثلت في أنّه لا يكتفي فقط بإدانة أخلاقية بسيطة للعنصرية، ولا يختزلها في تحيز غير عقلاني وخطأ فردي، ولكنّه يظهر إلى أي مدى الإسلاموفوبيا متوغلة في فرنسا كعنصرية دولة تحفزها بانتظام السياسات العامة وإضفاء الشرعية عليها من قبل خطابات الدولة (يلقيها أفراد يشغلون مناصب في أعلى الدولة)، أي مساهمة مؤسسات الدولة الفرنسية في خلق التعصب والتطرف لدي الشباب الفرنسي بسبب سياسة التعامل العنصري والتهميش.

- هدف الجهاز الأمني والإداري للدولة الفرنسية في حالة الطوارئ إلى استعراض القوة وترهيب المسلمين وتخويفهم من خلال المداهمات العشوائية لبيوتهم.
- يشجع الفيلم المسلمين على الدفاع عن أنفسهم باللجوء إلى الجهاز القضائي، وعدم السماح لمؤسسات الدولة بإقصائهم اجتماعيا، وذلك بالتطرق إلى مختلف المراحل التي يمر بها قانونيا أي مسلم تم اقالته تعسفيا.
- وصف الفيلم المسلمون بالتعقيد (complexité) وسلّط الضوء على فروقاتهم الفردية، وذلك لإلغاء الصورة النمطية السلبية والأحادية عن المسلمين والتي يتم ربطها بثقافتهم أو بعقيدتهم، فهم أيضًا أشخاص عالقون في واقع اجتماعي ونفسي وروابط عائلية.
- تناول فيلم سمية، الشخصيات المسلمة في حالة جدل، بل تصل إلى درجة الصراع، حيث نكتشف أنّ بالرغم من انتمائها للدّين نفسه إلّا أنّها لا تفكر بالطريقة نفسها. وهذا يلغي أيضا الصورة النمطية السلبية عن المسلمين التي تصورهم كعدو داخلي يشكّل كتلة واحدة موحدة.
- وظّف المخرجان الألوان المختلفة كدلالات يعبّر من خلالها عن الحالات النفسية لشخصيات الفيلم وهي دلالات سيميولوجية تعكس الخوف، الحزن... وغيرها.
- استهدف المخرجان من خلال تصوير فيلم مستوحى من أحداث حقيقية، بصفة خاصة المسلمون الذين وقعوا ضحايا لعمليات التفتيش والمداهمة والإقامة الجبرية والفصل، وما إلى ذلك حيث أرادا أن يكون الفيلم مرآة عاكسة للواقع والتجربة التي عاشتها الضحايا. كما استهدف بصفة عامة المواطنين العاديين الذي اقتصروا على وسائل الإعلام في استقاء معلوماتهم، حيث هدف الفيلم إلى تسليط الضوء على المسكوت عنه في الإعلام أي الواجهة المغايرة للإسلاموفوبيا في فرنسا.

خاتمة

نأمل من هذه الدراسة أن تفتح آفاق لتناول الإسلاموفوبيا وتداعياتها على المسلمين في الغرب، فهذه الزاوية تتستر عليها وسائل الإعلام الغربية، وتتجاهلها وسائل الإعلام العربية، فبدل التركيز على الصورة النمطية السلبية للإسلام والمسلمين كعامل من عوامل تنامي الإسلاموفوبيا خاصة في المضامين الإعلامية الغربية، (والتي أسهمت معظم الدراسات العربية في الترويج لها فالإسلاموفوبيا أوسع وأشمل من هذه الصورة تمس جوانب مختلفة ولها عوامل كثيرة ومتكاملة) ينبغي على الباحث الأكاديمي تناول القضايا المسكوت عنها التي تخص هذه الظاهرة، لأنّ هدف البحث العلمي هو اكتشاف الحقيقة، كما أنّه حلقة متواصلة وفي الغالب ينتج عن أي بحث علمي العديد من الإشكاليات والأسئلة الأخرى، والتي يمكن أن يسلط الباحث الضوء عليها ومن ثم تناولها من جانب باحثين

في المستقبل. ونرجو من هذه الدراسة أن تفتح أيضا آفاقاً للمخرجين من أجل صناعة أفلام سينمائية تتناول الصورة الحقيقة للإسلام والمسلمين، وهذه مهمة ومسؤولية ينبغي أن يتحمّلها صناع السينما العرب، فهم أولى بالموضوع .

وتبقى الإسلاموفوبيا قضية تشغل الرأي العام يوميا في الدول الغربية على رأسها فرنسا مادام المسلمون يعيشون هناك. وعليه، ينبغي عليهم النضال والمكافحة من أجل تغيير مصيرهم وعدم الاستسلام لهذه العنصرية المستحدثة التي تدعى بالإسلاموفوبيا.

قائمة المراجع:

❖ باللغة العربية:

المؤلفات:

1. حمداوي جميل، (2017). مقاربة سميو–بلاغية للصورة، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب.
2. خضور أديب، (1999)، صورة المرأة في الإعلام العربي، دار الأيام ش.ذ.م.م للنشر والتوزيع، الجزائر.
3. الزايدي وليد كاصد، (2017)، الإسلاموية المتطرفة في أوروبا دراسة حالة الجهاديين الفرنسيين في الشرق الأوسط، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، قطر.
4. السيد علاء عبد العزيز، (2008)، الفيلم بين اللغة والنص مقاربة منهجية في انتاج المعنى والدلالية السينمائية، منشورات وزارة الثقافة، المؤسسة العامة للسينما القاهرة، القاهرة.

المقالات:

1. بركات وائل، (2002)، السيميولوجيا بقراءة رولان بارت، مجلة جامعة دمشق، المجلد 18 (العدد الثاني) الصفحات 18–19.
2. الجمل عبد المجيد، (2018/02/06)، تزايد العمليات الإرهابية في العالم الغربي: المظاهر والخلفيات والنتائج سبتمبر 2001–2016، مؤسسة مومنون بلا حدود قسم الدراسات الدينية، الرباط، الصفحات 55–56.
3. الزايدي وليد كاصد، (2016)، جذور الإسلاموفوبيا في الغرب ومآلاتها المستقبلية، مجلة دراسات شرق أوسطية (عن مركز دراسات الشرق الأوسط)، العدد 77، الصفحات 35–36.

التقارير:

1. الاستراتيجية الإعلامية لمنظمة التعاون الإسلامي للتصدي لظاهرة الإسلاموفوبيا وآليات تنفيذها، الإسلاموفوبيا (21 نوفمبر 2016)، الدورة الحادي عشر للمؤتمر الإسلامي لوزراء الإعلام، المملكة العربية السعودية.

مواقع الانترنت:

1. موقع France: فرنسا: ماذا تعني حالة الطوارئ وما هي الإجراءات المرافقة لها؟ متاح على الرابط: https://www.france24.com/ar/20160715 تاريخ وتوقيت التصفح: 2020/08/19 على 15:36.

❖ باللغة الفرنسية:

1. Collectif Contre l'Islamophobie en France (CCIF), (2015). rapport de l'isalamophobie en France.
2. Collectif Contre l'Islamophobie en France (CCIF), (2018) rapport de l'isalamophobie en France.
3. Collectif Contre l'Islamophobie en France (CCIF), (2019) rapport de l'isalamophobie en France.

الملاحق

أسئلة المقابلة مع مخرج الفيلم عبيدة أبو أسيد مترجمة إلى اللغة العربية:

- ماذا يمثل لكم فيلم "سمية"؟
- ما هو رأيك كمخرج سينمائي في قضايا الإسلاموفوبيا؟
- لماذا اخترتم حالة الطوارئ كحدث رئيس للفيلم؟